المحور الأول تاريخ الجزائر السياسي القديم

المحاضرة الأولى والثانية:

إن الثابت في تاريخ الجزائر السياسي أن الحديث عنه لا يمكن الخوض فيه دون الحديث عن التاريخ المغاربي ككل، والسبب واضح وهو أن المجتمع السائد في المنطقة هو مجتمع واحد، تعتب القبيلة فيه عماد المملكة والدول التي سادت في المنطقة في مختلف أطوار التاريخ، وهنا وجب الإشارة الى أن الكتابات التاريخية المتحدث عن تاريخ الممالك التي سادت في الجزائر والمنطقة المغاربية عامة قبل الوجود القرطاجي بل وحتى قبل اندلاع الحروب البونية بين قرطاج وروماقليلة وتكاد تكون منعدمة، حيث تعتبر كتابات "بوليبيوس" حول الحروب البونية من أقدم المراجع التي تتحدث عن تاريخ المنطقة، حيث تشير هذه الكتابات الى دور الممالك الامازيغية أو البربرية في قلب ميزان الحروب البونية لصالح روما على حساب قرطاج، إلا أن غالبية المؤرخين ورغم هذا الافتقار إلا أنهم يجمعون على التمييز بين ثلاثة ممالك كبرى كانت تهيمن على شمال افريقيا عامة وهي:

ـ مملكة المور في المغرب الأقصى حاليا وتحكمها عائلة "بوكوس" وحدودها من واد ملوية الى المحيط الأطلسي

ـ مملكة الماساسيل (نوميديا الغربية) بقيادة سيفاكس وعاصمتها سقا

ـ مملكة الماسيل (نوميديا الشرقية) بقيادة ماسينيسا وعاصمتها سيرتا

وهنا تشير المراجع التاريخية المتوفرة الى أم مملكتي النوميديتين الشرقية والغربية ضلا في حالتي خصومة سببها رغبة كل طرف في اخضاع الطرف الآخر وتوحيد نوميديا الكبرى، كما تشير هذه المراجع الى أن "سيفاكس" ملك نوميديا الغربية نجح في فترة زمنية معينة في اخضاع نوميديا الشرقية لسلطته، ومعها تم توحيد نوميديا الكبرى، واستمر هذا الوضع الى جاء "ماسينيسا" الذي تحالف مع الرومان ونجح في استرداد ملك أجداده، كما تشير ذات المراجع أن مملكة المور في المغرب الأقصى حاليا قد طرفا غير مباشر في هذا الصراع الدائر بين نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية.

وبعد نجاح "ماسينيسا" في مبتغاه وتوسعه شرقا على حساب قرطاجة وغربا على حساب نوميديا الغربية وذلك بعد تحالفه مع روما، شهدت نوميديا الشرقية حالة من الازدهار الاقتصادي والتجاري والسياسي وجل مجالات الحياة، وتعتبر نوميديا إتحادا قبليا كونفيديراليا عاصمته سيرتا أو كما تعرف في بعض المراجع التاريخية بقرطة والتي تعتبر مقرا للحكومة المركزية، وبشكل عام فقد كان النظام الإداري للملكة مقسما لثلاثة أقسام:

ـ الإدارة المركزية: ومقرها في العاصمة سيرتا وتعتبر بمثابة مركز الحكم النوميدي.

ـ الإدارة القبلية: وتشير لحكم محلي أو ذاتي للقبيلة أو تحالف معين من القبائل، والذي يتمتع ببعض الصلاحيات في اطار من التوافق مع السلطة المركزية.

ـ إدارة المدن والقرى التي تتكون منها المملكة، والمتمتعة هي الأخرى بالحكم المحلي في اطار من التوافق مع السلطات المركزية كذلك، ومما أثبتته الكتابات في هذا الاطار أن بعض المدن التونسية المنطوية تحت الحكم النوميدي على غرار مدينة باجة ودوقا الى جانب بعض مدن الشرق الجزائري المأهولة يومها على غرار تبسة وكالمة والتي تسمى اليوم قالمة كلها مدن تمتعت بهذا الحكم المحلي في اطار النظام الكونفدرالي النوميدي.

وعلى مستوى التقسيم الإداري فقد قسمت نوميديا الى عدة مقاطعات إدارية على رأس كل مقاطعة حاكم محلي يسمى إقليد أو إغليد، حيث يعتبر ولاء الزعماء المحليين للسلطة المركزية في شخص الملك ماسينيسا وحكومته المركزية هو ما يضمن تماسك الدولة النوميدية، الا أن هذا الولاء لم يكن مطلقا حيث شهدت فترة حكم ماسينيسا العديد من الانشقاقات من طرف هؤلاء الحكام المحليين.

على المستوى العسكري كان لنوميديا جيش قوامه 50 ألف جندي، وعلى المستوى الاقتصادي ففضلا عن ازدهار التجارة الخارجية والزراعة قام ماسينيسا بإصدار عملة نوميدية خاصة، إلا أن أحلامه في تكوين دولة تحكم كامل الشمال الافريقي كانت تواجهه العديد من الصعوبات، فعلى الرغم من تحالفه مع الرومان ضد القرطاجيين في الحروب الدائرة بينهما، والذي كان يرمي من ورائه ماسينيسا الى أن تمنح له روما حكم قرطاجة، الا أن حقيقة السياسة الرومانية كانت تقوم الى اخضاع كلا الدولتين قرطاجة ونوميديا الى سلطتها، وهو ما أجهض مساعي نوميديا في هذا الصدد.

وتشير المراجع التاريخية الى أن فترة حكم ماسينيسا لنوميديا دامت حوال من 203 ق م الى 148 ق م أي حوالي 54 سنة، ومع وفاته دخلت نوميديا في حالة من الحكم غير المباشر من طرف روما، حيث أصبح مجلس الشيوخ الروماني مسؤولا عن تقسيم السلطة بين ورثة ماسينيسا في الحكم، وهو ما حدث بتقسيم السلطة بين أبناء ماسينيسا الثلاثة وهو ميسبسا الذي آلت اليه قيادة جهاز الدولة الإداري وشؤون العاصمة سيرتا، وغولوسا الذي آلت اليه سلطة قيادة الجيش، ومستنبعل الذي أشرف على الجهاز القضائي لدولة نوميديا، الا أنه وبوفاة مستنبعلوغولوسا آلت أمور الحكم كلها لميسبسا الذي حكم زهاء الثلاثين سنة، قد تزامنت فترة حكمه مع سقوط قرطاجة في يد الرومان، وبعد وفاته تدخل مجلس الشيوخ الروماني ليفرض

تقسيما جديدا للسطلة بين ابني ميسبسا وهما هيمبسالوادربعل الى جانب حفيد ميسبسا وهو يوغرطا، هذا الأخير الذي عرف كيف يزيح أعمامه ويستفرد بالسلطة، ثم يعلن التمرد على الحكم الغير مباشر للرومان الا أن مساعيه باءت بالفشل، حيث اعتقلته القوات الرومانية وتوفى بسجونها، وقد كانت وفاة يوغرطة بمثابة نهاية لدولة نوميديا الكبرى، حيث نجحت روما تدريجيا في فرض حكمها على أجزاء كثيرة من نوميديا، بضمها لمنطقة تلوى الأخرى في الشرق النوميدي أي في تونس وشرق الجزائر في حين سلمت بعض المقاطعات الغربية لمملكة المور في المغرب الأقصى، وتجدر الإشارة في هذا الصدد أن فترة التقسيم هذه قد تزامن مع الحرب الرومانية الداخلية التي انتهت بسقوط الجمهورية وبداية عصر الأباطرة الرومان هذا العصر الذي أسس له يوليوس قيصر، وقد فرض هذا الأخير الحكم الروماني المباشر على نوميديا، مع الاعتماد على بعض الحكام النوميديين كواجهة للحكم الروماني كان آخر هؤلاء الحكام هز بطليموس والذي استعان به الرومان للقضاء على ثورةتاكفاريناس التي استهدفت التواجد الروماني سنة 17 م ودامت 8 سنوات نجح الرومان وحليفهم بطليموس في القضاء عليه، واستمر حكم الأخير كآخر الحكام النوميديين الى غاية 40 م، ومعه انتهت 300 سنة من عمر الدولة النوميدية من أول ملوكها نارافاس سنة 238 ق م الى بطليموس 40 م، وبعد ذلك أصبحت نوميديا مقاطعة رومانية تخضع للحكم الروماني المباشر.

المحاضرة الثالثة والرابعة:

الاحتلال الروماني للشمال الافريقي

إن أحد أهم ما يميز الاحتلال الروماني لمنطقة شمال افريقيا هو أنه جاء بشكل تدريجي ومرحلي، حيث بدأ بالتحالف مع ملوك نوميديا لإسقاط قرطاجة وبعد أن تم لهم ذلك بدأوا في المرحلة الثانية وهي السيطرة غير المباشرة على نوميديا وتدخل مجلس الشيوخ الروماني في تعيين ملوك الدولة النوميدية، ثم السيطرة المباشرة على الأخيرة والتي تحولت الى مقاطعة رومانية تحت السيطرة المباشرة لروما بداية من سنة 40 م.

وأثناء وقوعها تحت الحكم الروماني المباشر قسمت منطقة شمال افريقيا وفق التنظيم الإداري الروماني الى ثلاثة أقسام وذلك بتميز المدن وقاطنيها في شمال افريقيا ومنها:

أ- المدن اللاتينية:

وقد سميت بهذا الاسم نظرا لأن غالبية سكانها كانوا من اللاتينيين، وهي السمة التي جعل الرومان يمنحونهم جملة من الحقوق على غرار ما يتمتع به المواطنون الرومان تقريبا، فضلا على تمتعهم بمجموعة من الحريات التجارية والمعاملات المالية ولكن دون المشاركة في الحياة السياسية.

ب - المدن غير الرومانية:

وما يميز هذه المدن هو أن ساكنيها من غير الرومان، كما أن سكانها كانوا يتمتعون بجملة من الحقوق والحريات ومن هذا المنطلق سميت كذلك هذه المدن بـ libertas، أما عن الضرائب فقد كان مواطني هذه المدن يدفعون ما يدفع الرومان وفي بعض الحالات ينالون العفو منها.

جـ - المدن الرومانية:

وهي المدن التي كان يقطنها مواطنون رومان، وبالتالي فإنهم يتمتعون بأقصى ما كانت السلطات الرومانية تمنحه من حقوق وحريات وإعفاء من الضرائب.

وقد دام الاحتلال الروماني لشمال افريقيا حوالي الخمسة قرون، شهدت خلالها المنطقة خلالها حالات من الصراع كنتيجة للثورات التي ما فتأت تندلع ضد الرومان، كما دخلت خلالها منطقة شمال افريقيا وبحكم أنها مقاطعة رومانية في ظل حالات الصراع التي كانت تحدث داخل الإمبراطورية نفسها، وقد كان من أهم هذه

الصراعات هو ذلك الذي قاد الى انقسام الإمبراطورية الرومانية على نفسها الى شرقية وغربية سنة 330م، حيت حافظت الإمبراطورية الغربية على العاصمة الأم وهي روما، في حين اختارت الإمبراطورية الشرقية القسطنطينية عاصمة لها وهي ما تسمى بالإمبراطورية البيزنطية، فضلا على فقد أدت هذه الصراعات الداخلية داخل روما الى زوال الحكم الروماني عن شمال افريقيا، وهذا بعد أن الثورات التي قادها قادة رومان ضد السلطة المركزية في روما، ومن أهم هذه الثورات ثورة "بونيفاس" سنة 427م وهي الثورة التي انهت حكم الرومان لشمال افريقيا، حيث كان رغبة هؤلاء القادة في الاستقلال بالمقاطعات التي يحكمونها عن روما هو الهدف الأول من هذه الثورات، فاتحين بذلك الباب أمام عصر جديد في شمال افريقيا، وانهاء عصر دام زهاء 400 سنة.

تواجد الوندال في شمال افريقيا:

تنحدر أصول الوندال من القبائل الجرمانية الذين يقطنون في شمال أوروبا، وبعد نجاح تمددهم نحوى بلاد الغال (فرنسا) ثم الجنوب الأوروبي الى شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا والبرتغال)، ولم يقف تمددهم في أوربا فقط بل إجتازوه نحوى شمال افريقيا سنة حيث تحالفوا مع "بونيفاس" الذي نجح بثورته في انهاء الحكم الروماني على شمال افريقيا، حيث طلب الأخير العون من الوندال للتغلب على روما، وعبر هذا التحالف نجح الوندال في الدخول لشمال افريقيا، إلا أنه وبمجرد تهيأ الظروف لصالحهم انقلبوا على حليفهم واستفردوا بحكم شمال افريقيا وكان ذلك سنة 431 حيث دام حكمهم لغاية سنة 534.

ونظرا لميزان القوى الجديد أصبح الوندال خطرا ليس على المقاطعات الرومانية فحسب إنما على روما نفسها، وهو ما دفع الرومان الى توقيع اتفاق تفاهم مع الوندال يتنازلون فيه الرومان للوندال عن شمال افريقيا مقابل عدة شروط سنة 435، وكانت روما تهدف من وراء ذلك الى ضمان سلامة روما نفسها من التمدد الوندالي، إلا أن ذلك لم ينجح حيث تم احراق وتخريب مدينة روما نفسها سنة 455، ليكون بذلك نهاية عصر من حكم الإمبراطورية الرومانية ليس لشمال افريقيا فحسب إنما للعالم القديم تقريبا والذي دام لسبعة قرون تقريبا ومس معظم القرات المعروفة يومها.

إن ما يميز حكم الوندال لشمال افريقيا هو همجيتهم الغالبة على طبعهم، حيث كانوا قوما لا يتقنون الكثير لا في الفن ولا في الفلسفة ولا في القانون ولا في الإدارة ولا في معظم العلوم القديمة، إنما كانت الغزوات والنهب والحرق والتدمير جل ما يتقنونه، وهو الأمر الذي جعلهم يحافظون على ما وجدوه من سياسات إدارية رومانية واستغلالها للحفاظ على نفوذهم وتواجدهم، وقد دام التواجد الوندالي في شمال افريقيا زهاء القرن من

الزمن، وذلك بعد أن نجحت الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) في دفعهم للتراجع عن المنطقة بداية من سنة 534 م.

الحكم البيزنطي لشمال افريقيا:

لم يختلف الاحتلال البيزنطي على سابقيه، فرغم تراجع الوندال عن المنطقة بعد انهزامهم أمام القائد البيزنطي "بليزار" سنة 534، الا أن القادمين الجدد كانوا كسابقيهم عبارة عن محتلين ارتكبوا ما ارتكب سابقوهم، وقد كانت حجتهم في ذلك أن الإمبراطورية البيزنطية هي الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية، وبالتالي فإن ما كان تحت الحكم الأخيرة هي من حقهم، وهو منطق أُسقط على معظم المقاطعات التي كانت تحت حكم روما بما فيها شمال افريقيا.

وقد شهدت المنطقة خلال الاحتلال البيزنطي جملة من الثورات المحلية، أمر يفسره طابع الحصون العسكرية التي أسسها البيزنطيون على أنقاظ المدن الرومانية التقليدية، وفضلا على تميزت هذه المرحلة بظهور العديد من الامارات المحلية التي يقودها زعماء محليون قدرها بعض المؤرخون بتسعة إمارات، وقد كان أساس قيامها بعض التحالفات القبلية التقليدية، وتجدر الإشارة في هذا المقام أن الاحتلال البيزنطي في شمال إفريقياإستمر لحوالي القرنين من الزمن، حيث نجحت الفتوحات الإسلامية في القضاء عليهم.